المعتقدات الغيبية في الشعر الجاهلي
- دراسة عقدية نقدية -

د. هالـة غسان الحسين*
د. أحمد عبد العوايشة**

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠/١/٥م
تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/٢/٦م

ملخص

تناولت الدراسة بمنهج تاريخي تصورات العرب في الجاهليّة في عدد من قضايا الغيب بالرجوع إلى وثيقة الشعر الجاهليّ. وقد خلصت إلى أنّ هذه الوثيقة التاريخية قد تضمنت مادة علمية جيدة أبانت على أنّ تصورات العرب في الجاهلية في مباحث الغيب قامت على التخيل والظن، واصطباغها بطابع من الخرافة، كما اتسمت رؤيتهم للموت والمصير بالاضطراب والفوضى؛ وذلك نتيجة تأثرهم بمحيطهم متعدد الروافد واختلاف نظرتهم للوجود وغائيته.

الكلمات المفتاحيّة: الجاهليّة، الموت، الروح، الآخرة، الملائكة، الجن.

Metaphysical beliefs in pre-Islamic poetry
- Critical contract study -

Abstract

This paper discusses the beliefs of the Arabs in the Jaahiliyyah in the issues of metaphysics through a historical critical study of the pre-Islamic poetry, and it concluded that the Pre-Islamic poetry included a good scientific material that showed that the Arabs belief of issues of metaphysics were based on imagination and doubt, and also showed their turbulence of the perceptions to the fate of Man after death as the result of being influenced by their environment which was full of incoming ideologies with different views about existence and its aims.

Key words: Pre-Islam, aljaahiliyyah, death, spirit, hereafter, angels, jinn.

المقدمة.

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبيّ الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

فقد اختلفت نظرة الإنسان حول عالم الغيب أو عالم ما وراء الطبيعة كما طاب للفلاسفة تسميته، وهو يضمّ في طياته العديد من المسائل والقضايا التي حدت بالإنسان إلى التفكير فيها وتأملها.

وفي الشرق الأدنى استوعبت البنية الفكريّة والعقدية لدى العديد من الشعوب تصورات مختلفة في مبحث الغيب،

* باحثة.

** أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ: "العقائد الدينية عند العرب في الجاهليّة: دراسة تاريخيّة عقديّة نقديّة في الشعر الجاهليّ"، قدمت في كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، وأجيزت في ٢٠١٩/٨/١م.

كاعتقادهم بالجن وحقيقة الموت والروح ومصير الإنسان بعد الموت وقضيّة الخلود، ولقد كان للعرب -كأمة بين تلك الأمم والشعوب- نظرتها إلى تلك المسائل، مستلهمين تلك الرؤى من علوم آبائهم ومن بيئتهم ومحيطهم، وكذلك من فلسفتهم ونظرتهم إلى الوجود وطبيعته وغائيته.

ولما كان الشعر في الجاهلية أداة توثيق العرب وديوانهم كان الرجوع إلى هذه الوثيقة للتعرف على سمات فكرهم وفلسفتهم في قضايا العقيدة بصورة عامة وقضايا الغيب بصورة خاصة مطلبا بحثيا ضروريا؛ لما في ذلك من إثراء للدراسات المختصة في حقل تاريخ الأديان المهتمة بدراسة تاريخ معتقدات الشعوب في الشرق الأدنى القديم.

لذا كانت هذه الدراسة التي تسعى إلى إبراز العديد من جوانب تصورهم واعتقادهم بما يتعلق بالموت والمصير ووجود الملائكة والجن، ولقد سعى الباحثون وخاصة المختصون في حقل الأدب إلى تسليط الضوء على جوانب عدة من تصورات العرب في الجاهلية في بعض القضايا الإيمانية بمناهج علمية متعددة، بيد أنّنا لم نقف - فيما نعلم- على بحث علمي اهتم بتناول معتقدات العرب في الجاهلية في قضايا الغيب عرضا ونقدا مستعينا بوثيقة الشعر الجاهلي وبما صح من مصادره، لذا كانت هذه الدراسة.

ولمحاولة الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، اقتضت منهجيتنا أن نقسم البحث إلى أربعة مطالب وخاتمة على النحو الآتي:

المطلب التمهيدي: تعريف الجاهليّة: الإطار الزمني.

المطلب الأول: حقيقة الموت والروح في الشعر الجاهليّ.

المطلب الثاني: الآخرة والمصير في الشعر الجاهليّ.

المطلب الثالث: الملائكة والجن في الشعر الجاهلي.

المطلب الرابع: تقويم الإسلام لمعتقدات العرب في الجاهلية في قضايا الغيب.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المطلب التمهيدي: تعريف الجاهليّة: الإطار الزمني.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم وصف الفترة التي سبقت الإسلام بالجاهليّة، قال الله ﷻ: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾**[الأحزاب: ٣٣]. ويعدّ مصطلح الجاهليّة من المصطلحات التي تحمل في طياتها دلالات وأبعادًا مختلفة، إلا أنّي سأقتصر في هذا المطلب على تعريف الجاهليّة كحقبة من التاريخ.

حيث عرّفت الجاهليّة اصطلاحا بأنّها: "مَا كَانَ فِي الْفَتْرَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ"[(١)]، أو هي "ما قبل ورود الشرع سمّوا جاهليّة لكثرة جهالتهم وفحشهم"[(٢)]. أو هي "الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْعَرَبُ قَبْلَ الإسلام مِنَ الجَهْل بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ والمُفاخَرَة بالأَنساب والكِبْر والتَّجَبُّر وَغَيْرِ ذَلِكَ"[(٣)]. وعرفها الآلوسي بأنّها: "الزمان الذي كثر فيه الجهال وهي ما قبل الإسلام، وقيل أيام الفترة، وهي الزمن بين الرسولين، وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا، وعلى ما قبل الفتح، وعلى ما كان بين مولد النبيّ والمبعث"[(٤)].

ويبدو من التعريفات السابقة أنّ مصطلح الجاهليّة كفترة تاريخيّة قد استوعب العديد من المعاني، إلّا أنّ جمهرة المؤرخين يضبطـون استعمالهم لمفردة الجاهليّة كفترة زمنيّة سبقت مجيء الإسلام، وعليـه يمكن ضبط تعريف الجاهليّة – بعد هذه

الإطلالة اليسيرة حولها- بأنّها: **اسم لزمان سبق الإسلام.**

لكنّ الاكتفاء بحدود هذا التعريف لا يجعله مانعا؛ وذلك لأنّ تحديده بما قبل البعثة يعطي زمنا فضفاضا يشمل عصر الأنبياء كذلك، وهذه مغالطة في التعميم، لذا لابدّ من ضابط يضبط الزمان بحيث يخرج منه ما ليس فيه، وأرى أنّ الضابط المناسب هنا هو استعارة مصطلح الفترة، وهو مصطلح قرآني، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[المائدة: ١٩]. ويقصد به كما جاء في لسان العرب: "مَا بَيْنَ كُلِّ نَبِيَّيْنِ، وَفِي الصِّحَاحِ: مَا بَيْنَ كُلِّ رَسُولَيْنِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ ﷻ مَنْ الزَّمَانِ الَّذِي انْقَطَعَتْ فِيهِ الرِّسَالَةُ"[٥].

ومع هذا الضابط تبقى حدود التعريف واسعة بعض الشيء، حيث تشمل العرب وغيرهم من الأمم التي عاصرت الزمن نفسه، إلّا أنّ المؤرخين يضبطون استعمالهم لمفردة الجاهليّة في حال العرب فقط دون سواهم، وهذا مناط البحث ومحلّه.

وبناء على هذا الضابط التاريخي، يمكن تعريف الجاهليّة بأنّها: **اسم لزمان الفترة عند العرب قبل الإسلام.**

وقد سمي الزمان الذي عاشه العرب قبل الإسلام بالجاهليّ؛ نظرا لجهلهم بالعقيدة السليمة وانحرافهم عن توحيد الله ﷻ التي هي ملّة أبيهم إبراهيم ﵇، بالإضافة إلى وجود بعض المظاهر الاجتماعيّة الخاطئة والشائعة في ذلك الوقت، كوأد البنات والعصبية للقبيلة والثأر وغيرها، وعليه يمكن القول بأنّ حال العرب قبل الإسلام تنطبق عليه دلالات مفردة الجهل من عدم العلم بشريعة الله ﷻ بالإضافة إلى شيوع الظلم والتسرع في الحكم، ممّا كانت الفوضى سمة غلبت على سمات ذلك العصر.

ومن الجدير بالذكر في هذا التمهيد أنّ المادة العلمية المتعلقة بالعصر الجاهليّ تغطي فترة محددة من ذلك العصر، يقول الدكتور سعيد غراب حول هذه القضية: "جرى العرف بين نقاد الأدب العربيّ أنّ العصر الجاهليّ يبدأ قبل ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف أو قرنين من الزمان على أكثر تقدير، أمّا المرحلة التي تسبق هذا التاريخ فلا نكاد نعرف عنها شيئا صحيحا؛ إذ ليست عندنا نصوص أو أخبار يزيد عمرها عن مائة وخمسين عاما قبل البعثة المحمديّة"[٦].

وبناء على ذلك، يمكن تقسيم الجاهليّة إلى مرحلتين: جاهليّة قريبة العهد بالإسلام، هي التي ورد عنها بعض الأخبار والمرويات، ولا تتجاوز مئة وخمسين عاما، وهي الفترة المقصودة في هذا البحث، أمّا ما وراء ذلك فالجاهليّة البعيدة أو الجاهليّة الأولى.

المطلب الأول: حقيقة الموت والروح في الشعر الجاهليّ

سعى الإنسان دوما نحو الخلود، ممّا شكلت حتميّة الموت "أزمة" حقيقيّة في تفكيره، ولقد عبّر عنها في كتاباته وأدبياته منذ القدم، والشعر الجاهلي قد وثق انشغال العربي بهذه القضية كغيره من البشر، وقد يظهر ذلك بصورة واضحة في بكائياتهم ومراثيهم وحديثهم عن فراق الأحبة ووداعهم، حيث تفيض نفس الشاعر في تأمله لهذا المصير المحتوم الذي ينتظر الجميع.

ففي مراثي الشعراء تظهر فكرة الاستسلام للموت، وأنّها الطريق الواضح البين، وأنّ كلّ مؤخّر يوما سيتبع سبيل الأولين، وهذه المعاني قد جاءت مجتمعة في مرثيّة سعدى بنت الشمردل الجهنيّة[٧] (ت: قبل الإسلام) التي "راعها مصرع أخيها، فطفقت ترثيه في جزع ولوعة، ثمّ اجتلبت لنفسها العزاء بأنّ الموت غاية الحيّ، وأن كلّ جمع إلى شتات، وأنّ أخاها إنّما أقيل

على الموت في شجاعة"[٨]، وممّا جاء في قصيدتها من أبيات قولها: (البحر الكامل)

أمِـنَ الحــوادِثِ والمَنــونِ أروَّعُ   وأبيــتُ ليْلـــي كلَّـــهُ لَا أهجــع

وأبيــتُ مُخْليَــةً أُبكّــي أســعداً   ولِمثْلِـهِ تبْكـي العيـونُ وتهْمــعُ

ولَقَدْ بدا لـي قبلُ فِيمَا قدْ مضـى   وعلمْـتُ ذاكَ لـوَ أنَّ علْمـاً ينفـعُ

أنَّ الحــوادثَ والمَنــونَ كليهمــا   لَا يُعْتِبـانِ ولـوْ بَكـى مـنْ يجـزَعُ

ولقـدْ علمْـتُ بـأنَّ كـلَّ مـؤَخَّرٍ   يَوْمًــا ســبيلَ الأوَّلــينَ ســيتْبَعُ

ولقـدْ علمـتُ لـوَ أنَّ علْمـاً نـافعٌ   أنْ كُــلُّ حــيٍّ ذاهــبٌ فمــودِّعُ

هَـذَا علـى إثْـرِ الَّـذي هـوّ قبلـه   وَهِـي المنايَـا والسـبيلُ المهْيَـعُ[٩]

إذن، فقد أيقن الجاهليّ أنّ لا خلودَ ينتظره في هذه الحياة، بل موت مقدّر في وقت معلوم، لا يستطيع دفعه الإنسان مهما ابتغى إلى ذلك سبيلا[١٠]، ومفردة الموت تأتي في اللغة في مقابل الحياة، حيث جاء في اللسان: "المَوْتُ والمَوَتانُ ضِدُّ الْحَيَاةِ"[١١]. "والمَوْتُ: السُّكونُ. وكلُّ مَا سَكنَ، فَقَدْ ماتَ، وَهُوَ عَلَى المَثَل. وماتَتِ النارُ مَوتاً: بَرَدَ رَمادُها، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْجَمْرِ شَيْءٌ. وماتَ الحَرُّ والبَرْدُ: باخَ. وماتَت الريحُ: رَكَدَتْ وسَكَنَتْ"[١٢].

والسكون هو ذاك التعبير الذي مال إليه الكثير من الشعراء لوصف الموت، فها هو لبيد بن ربيعة[١٣] (ت:٤١هـ) يصف الحياة بالشهاب الذي يحور رمادا في النهاية، حيث جاء في ديوانه قوله: (الطويل)

ومـا المـرء إلّا كالشـهابِ وضـوئه   يحـورُ رمادا بعد إذ هو ساطعُ[١٤]

وما عرفه العرب في الجاهليّة عن الموت لا يتعدّى إدراكهم بأنّها حالة من السكون والانخماد التي تطرأ على الإنسان، وتعكس هذه الحالة في تصور الجاهليين للموت بعدهم عن إدراك حقيقته وأنّه "بداية" لحياة برزخيّة جديدة.

لكنّ الذي أدركه الجاهليّ أنّ مكنون الإنسان لا يقتصر على جزئه المادي الظاهر، وهو الجسد، بل يتعدى ذلك إلى مكنون خفيّ أُطلق عليه لفظ الروح أو النفس، ولفظة الروح في اللغة مشتقة من الجذر الثلاثيّ روح، و"الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مطّرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطّراد. وأصل ذلك كلِّه الرِّيح ... فالرُّوح رُوح الإنسان، وإنّما هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كلّه، والرَّوْح: نسيم الرِّيح"[١٥].

وحقيقة الروح مجهولة في شكلها وماهيتها، فهي من قضايا الغيب، ومع ذلك فقد كان للعرب في الجاهليّة محاولة لتصورها، وفي هذا الصدد يذكر المسعوديّ في مروج الذهب ما نصه: "كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس وآراء ينازعون في كيفياتها: فمنهم من زعم أن النفس هي الدم لا غير وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه، ولذلك سموا المرأة منه نفَسَاء"[١٦] "وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفاً به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً"[١٧].

ويبدو أنّ الرأي الأخير كان له انعكاس على تصورات العرب في مصير الروح، حيث اعتقدوا بأنّ النفوس تتحول بعد الموت إلى طائر هو الهامة والصدى تنادي بطلب ثأرها، "ويزعمون أنَّ هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم، وهي أبداً تتوحش وتَصْدَح، وتوجد أبداً في الديار المعطلة والنواويس، حيث مصارع القتلى وأجداث الموتى"[١٨]. ويشير الآلوسي في بلوغ الأرب إلى أنّ العرب كانت كالمجتمعة على هذا الاعتقاد، "وذلك أنّهم

كانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل إلا ويخرج من رأسه هامة، فإن كان قتل ولم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره اسقوني اسقوني فإنّي صديّة"[١٩].

والشعر الجاهليّ يفيض بالإشارة إلى هذا الاعتقاد، منها ما جاء على لسان ذي الإصبع العدوانيّ[٢٠] (ت: ٦٠٠م): (البسيط)

يا عمرو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني[٢١]

والهامة في اللغة تعني: الرأس، "الهامَة: الرأْس واسمُ طَائِرٍ... وَقِيلَ: هِيَ الْبُومَةُ"[٢٢]. "والهَامَة مِن طيرِ الليلِ: طائرٌ صَغِيرٌ يأْلَفُ المَقابِرَ"[٢٣]. ويبدو أنّ العرب لم تفرق بين الهامة وطائر الصدى، حيث جاء في تعريف الصدى ما يشبه تعريف الهامة، فهو "طائِرٌ يَصِيحُ فِي هامَةِ المَقْتُولِ إِذَا لَمْ يُثْأَرْ بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ طائِرٌ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ إِذَا بَلِيَ، ويُدْعَى الهامَةَ"[٢٤]. ولمفردة الصدى معان أخرى كثيرة منها: "مَا يَبْقَى مِنَ المَيّتِ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ جُثَّتهُ"[٢٥].

ويبدو أنّ تسمية الطيور هذه تعود إلى فكرة تكونها من جسد الإنسان، إمّا من رأسه؛ أي: هامته، أو صداه؛ أي: جثته، وعليه فإنّ الصدى والهامة واحد، وهو الطائر الذي يخرج من الإنسان بعد موته.

ولقد فهم الشهرستاني أنّ هذا المعتقد الذي ساد عند العرب نوع من الاعتقاد بالتناسخ، حيث جاء في مؤلفه الملل والنحل ما نصّه: "ومن العرب من يعتقد "التناسخ" فيقول: إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة، فيرجعُ إلى رأس القبر كلّ مئة سنة، وعن هذا أنكر عليهم الرسول ﷺ فقال: (لا هامة ولا عدوى ولا صفر)[٢٦]"[٢٧].

وعقيدة التناسخ من المعتقدات القديمة، وتدور فكرتها حول تناسخ الروح وتقمصها أجسادا متعددة بعد خروجها من جسد الإنسان، ويرتبط هذا التقمص بعمل الإنسان، وقد عرف هذا المعتقد في العديد من الأديان، أهمّها الهندوسيّة، حيث ترى أنّ الأرواح الفرديّة (الجيفا)، قد دخلت إلى العالم على نحو سري، وهي تمرّ بدورها خلال سلسلة متعاقبة من الأجسام تعرف باسم التناسخ أو التقمص، وفي السنسكريتية تسمى: "سامسارا"، وهي كلمة تعنى حرفيا: "معاناة أو مقاساة شديدة". وهذا القانون لا يجمع زمن حياة واحدة، بل أزمنة حيوات كثيرة تعيشها الروح عينها على الأرض، إلى أن يتخلص الفرد في آخر المطاف من دوامة تعاقب الحيوات الزمنية، ويتحرر نهائيا من السامسارا (توالد الروح). وحسب هذا النظام فإنّ الإنسان لا يلقى عقابه على آثامه في الجحيم، بل في الحياة الزمنية الدورية، ففي نظام نزوح الروح يقع الجحيم هنا على الأرض[٢٨].

ولقد كان لاتصال العرب بالعديد من الأمم – كالهنود وغيرهم – عن طريق التجارة وغيرها من وسائل التواصل دور كبير في تأثرهم بهذه العقيدة.

كما كان لدى الشعوب القديمة في الشرق الأدنى ربط ورابط بين أرواح الموتى والطيور، وإلى ذلك أشار الباحثان علي الجنابي وفردوس عبد الله إلى ذلك بقولهما: "ففي حضارة وادي الرافدين كان للطائر علاقة بالروح، فأرواح الموتى في اللاهوت السومريّ والبابليّ يكون محلّ إقامتها في العالم الأسفل، تنزل من القبر إلى العالم السفليّ على شكل طيور لها ريش تشبه شكل صاحبها، وكذلك في حضارة وادي النيل فقد ارتبطت الروح بالطيور، وكانوا يسمون الروح بـ"البا"، فقد تصوروها بمختلف الأشكال، ولأنّها تترك الجسد وتغادره عند الموت فقد تخيلوها كأنّها طائر"[٢٩].

وما كان عليه العرب في الجاهليّة يشكل زاوية من زوايا عقيدة التناسخ، وهي تقمص روح الإنسان جسد طائر، أو تكوّن هذا الطائر من جسد الإنسان الذي يطالب بالثأر والانتقام، وهذا الطائر يظهر في أشعار العرب شاكيا باكيا، يكلّم من

يعرف ومن يجهل، ويبدو من حال هذا الطائر أنّه يجسد –بصورة ما– روح الميت المعذبة العطشة. وإلى هذا الوصف يذهب أحد أشهر صعاليك العرب عروة بن الورد[٣٠] (ت: نحو ٥٩٤م) في أبيات له يذكرها في سياق حواره مع امرأته العاذلة له على مخاطرته بنفسه في المعارك، فيجيبها أنّه يبحث عن الخلود ببقاء الذكر، فالإنسان في النهاية سيمسي بعد موته هامة، ويصفها بأنّها تخاطب جميع من يمرّ بها شاكية لهم حالها، حيث قال: (الطويل)

أحاديث تبقَى وَالفَتَى غيرُ خالِدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامة تَحت صَبر

تُجاوبُ أحجارَ الكِناسِ وتشتكِي إلَى كُلِّ مَعرُوفٍ تَرَاهُ ومُنكَرِ [٣١]

وإلى ما ذهب إليه عروة بن الورد من تعبير يذهب عبيد بن الأبرص[٣٢] (ت: نحو ٦٠٠م) في ديوانه[٣٣]، حيث يتطرق فيه إلى قضيّة الموت، متحدثا عن شرائه للخلود بحسن الخلق قبل أن يصبح في حفرة مظلمة، أو يستحيل بومة تصيح على رأس رابية، يقول: (البسيط)

أشـري الـتلاد بحمـد الجـار أبذُلُـه حتّى أصير رميما تحتَ ألواحِ

بعـد انتقــالٍ إذا وسِّـدت حثْحُثـةً فـي قعـر مظلمـة الأرجـاءِ مِكـلاحِ

أو صـرتُ ذا بومـةٍ فـي رأس رابيـةٍ أو فـي قرارٍ من الأرضـينِ قرواحِ

هـل نحـن إلا كأجسـاد تمـرّ بهـا تحـت التـراب وأرواحٍ كـأرواحِ[٣٤]

ويظهر من الأبيات السابقة عمق الحيرة والتخبط في وصف حالة الموت، وأنّ ما يخفف حيرتهم هذه هو ما يبقى من سيرتهم الحسنة بين الناس.

ويمكن القول بعد ما سبق عرضه إنّ ما كان يعتقده العرب في الجاهليّة لم يعبّر عن عقيدة التقمص بكلّ تفاصيلها، حيث إنّها حُصرت بتحول الأرواح إلى طيور، كما أنّها لم تكن – فيما يبدو لي– شكلا من أشكال الثواب والعقاب، ويمكن القول بأنّ معتقد الهامة يعدّ نوعا من الاقتباس أو التأثر بعقيدة التناسخ والتقمص لا أكثر.

المطلب الثاني: البعث واليوم الآخر في الشعر الجاهلي.

كان للعرب في الجاهليّة العديد من المواقف والتصورات المختلفة حول الإيمان بالبعث واليوم الآخر، وفي هذا المبحث وقفة عند أهمّ التوجهات التي عرفها العرب في الجاهليّة في هذا الصدد، وسيكون عرضها في ثلاثة محاور: الأول: إنكار البعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة، والثاني: الظنّ بالبعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة، والثالث: الإيمان بالبعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة، مستشهدة بما جاء من إشارات حول ذلك في الشعر الجاهليّ.

أولاً: إنكار البعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة.

كان العرب في الجاهليّة ينسبون الموت إلى مصدر الشر وهو الدهر[٣٥]، وينظرون إلى الزمان كسلسلة غير متناهية من الأزمان، فلا نهاية لوجود هذا الوجود، والإنسان يفنى ويزول في عجلة هذه الحياة، وعليه فليس ثمّة بعث ولا حساب.

ولقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات الصريحة الدالة على إنكار الجاهليين للقيامة والمعاد وبعث الأجساد، حيث جاء في كتاب الله تعالى قول الله –سبحانه–: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾**[يونس: ٧]. **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ**

أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٣٨].

لذا كانت جمهرة العرب ممّن تستبعد البعث والمعاد وتستنكره لبعد إدراكها لغائيّة الوجود، حيث كانت تعتقد بانعدام الجسد وفنائه بعد الموت واستحالة رجعته ثانية، ولقد حدا بهم تصورهم الماديّ ونظرتهم العبثيّة للوجود إلى الإيمان بالواقع المحسوس والمشاهد فقط، وإنكار ما لا تدركه حواسهم.

وقد كانت نظرة الجاهليين لموت الإنسان نظرة لفنائه جسدا وروحا، ونظرة لفراقه دون عودة وإلى الأبد، وهذا التصور قاد الجاهليين إلى تفجّعهم من الموت وكثرة بكائياتهم ومراثيهم، إذ لا تحمل البنية العقديّة في الجاهليّة ما يعزّى الإنسان أمام هذا الفراق، فهو فراق أبدي ولا أمل بلقاء جديد[٣٦].

ولقد تضمن الشعر الجاهليّ تصور الجاهليين الماديّ والعبثي نحو الوجود، وهو دليل ضمني على إنكار الجاهليين لحياة أخرى بعد الموت، وأمّا الدليل الصريح، فقبل مجيء الإسلام لم يحفل الجاهليّون في تخصيص حيّز في أشعارهم لنفي البعث والآخرة، حيث لم تكن ثمّة دوافع تدفعهم إلى طرح هذه القضيّة على ساحة الجدل والنقاش، لكنّ بعد مجيء الإسلام وإنذاره اليوم الأخير أو الآخرة ظهر الدافع إلى مناقشة هذه القضيّة، وظهر اعتراض المشركين وإنكارهم للبعث بوضوح، وعبّروا عن ذلك في أشعارهم بقولهم: (الوافر)

أحاديث تبقَى وَالفَتَى غيرُ خالِدٍ	إذَا هُوَ أَمْسَى هَامة تَحت صَبر
يخبرنا الرسول بأن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام؟[٣٧]

ومن الجدير بالذكر، أنّ إنكار الجاهليين لبعث الأجساد بعد الموت لا يعني إنكارهم بوجود ثواب وعقاب بصورة مطلقة، حيث آمنوا بوجودهما في الحياة الدنيا، فالله تعالى يثيب المحسن ويعاقب المسيء، كما جاء في أدعيتهم صيغ دالة على ذلك بقولهم: لحاه الله، وجزاه الله، وكساه الله وغيرها من الصيغ، ولقد كان تصوّر الجاهليين بوجود ثواب وعقاب في الدنيا من أهمّ دوافع الالتزام الخلقي والدينيّ عندهم.

و الشواهد على ذلك في أشعارهم كثيرة، أذكر منها ما جاء في معلقة النابغة الذبيانيّ[٣٨] (ت: نحو ٦٠٤) قوله: (البسيط)

فَلا لَعمرُ الَّذِي قد زرته حججا	وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنصَابِ مِنْ جَسَدِ
مَا إن أتيتُ بشيء أنت تكرهه	إذاً فَلاَ رفَعَتْ سَوطِي إلَيَّ يَدِي
إذاً فعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً	قَرَّتْ بِهَا عَينُ مَنْ يَأتِيكَ بالحسد[٣٩]

ويظهر من البيت الأخير إيمانه بوجود عقوبة ستلحقه إذا كان كاذبا في قسمه وفيما يدعيه.

ولقد كان العرب في الجاهليّة يعظمون الأيمان ويعدّون الحنث بها ذنبا عظيما، وقد ظهر هذا المعنى في أشعارهم، حيث جاء في أبيات لعوف بن الأحوص[٤٠] دعاءه على نفسه بالهلاك إذا حنث بيمينه، وهو يوجه خطابه – فيما يظهر – لأحد ملوك العرب بقوله: (الوافر)

وإنِّي والَّذِي حجت قريش	مَحَارِمُهُ وما جَمَعَتْ حِرَاءُ
وشَهرُ بني أميّة والهدايا	إذا حُبست مُضَرِّجَهَا الدِّماء
أَذُمُّكِ ما تَرَقْرَقَ ماءُ عَيْنِي	عَلَيَّ إذاً مِن اللهِ العَفَاءُ[٤١]

وهذا التصور -في اعتقاد الثواب والعقاب الدنيويّ- معروف عنهم وكثير في أشعارهم، ولقد حرص الجاهليّون في أدعيتهم على ثواب الدنيا، وفي هذا الصدد جاء في تفسير القرطبيّ ما نصه: "كانت العرب في الجاهلية تدعو فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطْ، فَكَانُوا يَسْأَلُونَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ وَالظَّفَرَ بِالْعَدُوِّ، وَلَا يَطْلُبُونَ الْآخِرَةَ، إِذْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَهَا وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهَا"(٤٢). وقد جاء هذا القول في سياق تأويل قول الله ﷻ: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ثانياً: الظنّ بالبعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة.

إنّ استمرار احتكاك العرب وتقلبهم بين العديد من الأمم التي استوطنت منطقة الشرق الأدنى ودانت بوجود بعث وثواب وعقاب بعد الموت ساعد في ظهور طائفة في الجاهليّة مالت إلى الظنّ بالبعث دون علم يقين به، ولقد ورد في آيات القرآن الكريم ما يدلّ على وجود هذا الاتجاه في زمن البعثة، حيث جاء في سورة الجاثية قول الله ﷻ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾[الجاثية: ٣٢]. ويذكر الرازي في تأويل هذه الآية قوله: "الْأَغْلَبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَاطِعًا بِنَفْيِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[الجاثية: ٢٤] وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ شَاكًّا مُتَحَيِّرًا فِيهِ"(٤٣).

ولقد أظهرت إحدى الشعائر الجنائزيّة عند العرب في الجاهليّة، وهي ربط البلايا عند القبور، على ظنّ بعضهم بالبعث والاحتياط له، والبلية: ناقة تترك عند قبر الميت حتى تبلى؛ لذلك سميت بهذا الاسم(٤٤). ولقد تحدّث الآلوسي في بلوغ الإرب عن البليّة بصورة مفصّلة بقوله: "فأمّا مذهبهم في البلية؛ وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت فمذهب مشهور، والبليّة أنّهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها، وأداروا رأسها إلى مؤخرها، وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تُسقى حتى تموت، وربما أحرقت بعد موتها، وربما سلخت، وملئ جلدها ثماما. وكانوا يزعمون أنّ من مات ولم يبل عليه حشر ماشيا، ومن كانت له بلية حشر راكبا على بليته" (٤٥).

ويبدو أنّ الهدف من ربط البلايا هو الخوف من أن يحشر الميت راجلا، ويظهر هذا المعنى جليّا في أبيات جريبة ابن الأشيم(٤٦) (ت: قبل الإسلام) التي يوصي فيها ابنه قائلا: (الوافر)

يا سعد إما أهلكن فإنني	أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلا	في الحشر يصرع لليدين وينكب
واحمل أباك على بعير صالح	وابغ المطية، إنه هو أصوب
ولعل لي مما تركت مطية	في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا(٤٧)

ويظهر ممّا سبق ذكره أنّ العرب اعتقدوا بمشاركة الراحلة في عمليّة بعث الإنسان وقيامته، وانصرف اهتمامهم عن الهدف من البعث ذاته وما يعقبه من حساب وما يترتب عليه من ثواب وعقاب!! فقد كان تفكير الجاهليّ يتمحور في ضمان "راحلة" تحمله يوم يقوم ويحشر، لكن إلى أين؟ ولماذا؟ وكيف؟ فليس ثمّة تفاصيل حول ذلك!

ولقد وثّق الشعر الجاهليّ حديث الجاهليين عن البلايا، حيث يأتي ذكرها عادة لوصف حالة من الضعف والقصور، حيث جاء في معلقة لبيد(٤٨) أبيات يفخر فيها بقومه بأنّهم يؤون في خيامهم الضعفاء من الأرامل وغيرهنّ، ويشبههنّ بالبليّة

القائمة بثياب بالية، إذ يقول: (الكامل)

تـأوِي إلـى الأطْنـابِ كـلُّ رذيَّـةٍ　　　مِثْـلُ البَلِيّـةِ قَـالصٌ أهـدَامُها[٤٩]

كما جاء في المفضليّات قصيدة للجميح[٥٠] (ت: ٥٧١م) يرثي فيها نضلة بن الأشتر، ويذكر فيها أنّه كان كريما جوادا يعين كلّ غريب وضعيف أشعث حاله كحال البليّة، يقول: (الكامل)

يـا نضـلَ للضـيفِ الغريب ولـل　　　جـارِ المَضـيمِ وحامِـلِ الغـرمِ

أَوْ مَــنْ لأشْــعثَ بعْــلِ أرملَــةٍ　　　مثْــلِ البَلِيَّــةِ سَــمْلَةِ الهــدْمِ[٥١]

ويبدو من الأبيات السابقة أنّ ربط البلايا شعيرة جنائزيّة ألفته طائفة من العرب في الجاهليّة، لكنّ مصادر الشعر الجاهليّ لم تحو على أبيات تربط البليّة بالإيمان باليوم الآخر أو البعث، أيّ أنّ المضمون العقديّ لهذه الشعيرة الجاهليّة لم يكن بارزا في أشعارهم. والغالب أنّ العرب في الجاهليّة قد تأثروا بالعديد من الطقوس الجنائزيّة لدى العديد من الأمم التي اعتقدت بوجود عالم آخر بحياة الإنسان بعد موته، كما عرف ذلك عند الأمم التي قطنت بلاد الرافدين والفراعنة والأنباط وغيرهم من الأمم.

والعرب في الجزيرة العربيّة لم يكونوا بمعزل عن محيطهم، حيث رأوا كيفيّة الطقوس التي تقام للموتى والأدوات التي توضع معه، ممّا أدى ذلك إلى تأثرهم واستعارتهم بعضا منها، مولين اهتماما كبيرا بالناقة – سفينة الصحراء– حيث كانت تمثل أغنى وأهم مقتنيات العربيّ في ذلك الوقت، لذا ذهبوا إلى ربطها بجوار قبر المتوفى، وهذه الشعيرة الجنائزيّة عند العرب لم تتضمن ملامح إيمان بثواب أو عقاب أخروي بصورة صريحة، وإنّما تشكل نمطا مستعارا من محيطهم يدلّ على تكريمهم للميت وحرصهم على ضمان راحته في حال بعثه أو قيامته بعد موته، في عالم مجهولة ملامحه وغايته. ولقد كانت بيئة العرب تضجّ بالعديد من المعتقدات في عصر الجاهليّة، فهناك الديانة النصرانيّة بحركتها التبشيريّة القويّة التي دعت إلى الزهد بالدنيا ورجاء الآخرة[٥٢]، وكذلك الديانة اليهوديّة المتسمة بالانغلاق على الذات والاضطراب في تصور البعث واليوم الآخر بين فرقها[٥٣]، وكذلك بلاد فارس التي استوعبت العديد من التيارات الدينيّة، كان من أبرزها الزرادشتيّة، التي نادت – كما دل على ذلك ما جاء في كتبها المقدسة كالإفستا وغيرها– إلى الإيمان بالبعث والثواب والعقاب في الآخرة[٥٤].

ولقد صهر العرب الكثير من التصورات المتوارثة أو الوافدة في بنيتهم العقديّة، الأمر الذي أحدث اضطرابا وحيرة عند بعضهم، وظهرت هذه الحيرة في تساؤلاتهم وتأملاتهم في هذا الوجود، متحدثين عن أهميّة استغراق الإنسان في الملذات قبل انقضاء الحياة حينا، وحديثهم عن التقوى والبرّ والخوف من الإثم حينا آخر، حيث جاء على لسان امرئ القيس[٥٥] (ت: ٥٤٥م)، الشاعر المعروف بميله للهو وذكره للملذات، أبيات يتحدث فيها عن تقواه وإقباله على الاقتصاد في العمل وحرصه على البرّ، مشيرا إلى أنّ مرضاة الله تعالى هي أفضل رجاء ابتغاه في حياته!! يقول: (الكامل)

أَقْبَلْــتُ مُقْتَصِــداً وَرَاجَعَنــي　　　حلمــي وسُــدّدَ للتقــى فعلــي

أَلله أَنْجَــحُ مــا طَلَبْــتُ بِــهِ　　　والبــرّ خيــر حقيبــةِ الرحــل

وَمِــنَ الطّرِيقَــةِ جــائِرٌ وَهُــدًى　　　قصدُ السبيل ومنه ذو دخل[٥٦]

وتشبيه امرئ القيس عمل البرّ بالحقيبة إشارة إلى ظنّه أو اعتقاده بأنّ الأعمال الصالحة ستبقى، وأنّ الإنسان سينتفع بها يوما ما! تقول العرب: "احتَقَبَ خيْراً أَو شَرًّا، واسْتَحْقَبه: ادَّخَره: عَلَى المثَل، لأَنّ الإنسان حامِلٌ لعَمَلِه ومُدَّخِرٌ لَهُ"[٥٧].

ويظهر امرؤ القيس وهو يتحدث عن هذه المفاهيم الإيمانيّة رجلا آخر غير الذي ألفناه بعبثيته وبحثه عن اللهو!! فهو يظهر في هذه الأبيات زاهدا، باحثا عن الثواب، حريصا على البرّ، الأمر الذي يدلّ على أنّ بعض الجاهليين لم يجدوا راحتهم في طلب اللذة والمتعة، بل اتجهت فطرهم إلى البحث عن قضيّة أكبر تشغلهم، قضيّة تتحدث عن مصيرهم بعد الموت...

وهذه الحيرة والتردد بين النظرة العبثيّة للوجود والنظرة العميقة له تعود إلى اتصال العرب بالكثير من الأمم التي اختلفت أفكارها ومعتقداتها وتصوراتها حول مصير الإنسان بعد الموت، ولم يكن عند العرب في الجاهليّة معايير ثابتة لتقويم تلك الأفكار الوافدة، الأمر الذي أوجد عند بعضهم حالة من الازدواجيّة بين البحث عن التقوى والبحث عن اللذة والعبث، وأظنّ أنّ هذه الازدواجيّة كانت سمة بارزة عند الظانين أو المتشككين في وجود البعث، ويعود هذا الاضطراب إلى عدم استقرار هذه الفئة في فهمها ونظرتها لغائيّة الوجود.

ثالثاً: الإيمان بالبعث واليوم الآخر عند العرب في الجاهليّة.

لم تخل جزيرة العرب في الجاهليّة من المؤمنين بالبعث واليوم الآخر، وهؤلاء يمكن تصنيفهم إلى فئات، وهم: أهل الكتاب، والحنفاء، والمتألهة.

أمّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد آمنوا بالبعث واليوم الآخر– مع اختلاف كبير بين الدينين في التفاصيل والجزئيات– فقد جاء في أشعار أهل الكتاب في الجاهليّة ما يشير إلى هذا الاعتقاد، حيث جاء في شعر عديّ بن زيد العبادي[٥٨] (ت: نحو ٥٩٠م) النصرانيّ ما يدلّ على اعتقاده بالجنّة والنار، حيث قال: (الطويل)

أعـاذل مـن تُكتـب لـه النـار[٥٩] يلقهـا ... كفاحا ومن يُكتب لـه الخير يسعدِ[٦٠]

ولقد علت نبرة من الدعوة إلى الزهد في الدنيا في شعر النصارى[٦١]، حيث جاء في ديوان عديّ أيضا حديثه عن بكاء الخطايا وأنّه الوسيلة لغفران الذنوب، يقول:

رحـم الله مـن بكـى للخطايـا ... كـلّ بـاك فذنبـه مغفـور[٦٢]

وأمّا اليهود، فقد جاء في شعر السموأل[٦٣] (ت: ٥٦٠م) في قصيدته التائيّة التي وردت في الأصمعيات حديثه عن خلق الله تعالى للإنسان من نطفة، ثمّ موت الإنسان، ثمّ بعثه جسدا من جديد، يقول: (الخفيف)

نُطفَـةً مَـا مُنيـتُ يـومَ مُنيـتُ ... أُمِـرَتْ أمرَهـا وفيهَـا وَبَيـت

كَنَّهَـا اللهُ فِـي مَكـانٍ خفـيٍّ ... وخفِـيّ مَكَانُهـا لَـو خفيـت

أَنـا ميـت إِذْ ذاكَ ثُمَّـتَ حـيٌّ ... ثُـمَّ بعـدَ الحيـاةِ للبعـثِ مَيـتُ

وأتَتنـي الأنبـاءُ أنِّـي إذَا مَـا ... مُتُّ أوْ رم أعظمي مبعوت[٦٤]

كما ظهر إلى جانب أهل الكتاب جماعة متدينة "سخرت من عبادة الأصنام، وثارت عليها،... ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة، وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التي كانت متفشية في ذلك العهد"[٦٥]. وهؤلاء هم الحنفاء الذين عرفوا بإيمانهم بالبعث أيضا، ولقد جاء في كتب السير أبيات لزيد بن نفيل[٦٦] (ت: ١٧ق.هـ/ ٦٠٦م) يظهر فيها إيمانه بالجنة والنار، وهذا يعكس إيمانه بالبعث، حيث حُفظ عنه قوله: (الوافر)

ولكـن أعبـد الـرحمن ربـي ... ليغفـر ذنبـي الـرب الغفـور

فتقـوى الله ربكـم احفظوهـا ... متـى مـا تحفظوهـا لاتبـوروا

تـــرى الأبـــرار دارهـــم جنـــان وللكفـــار حاميـــة ســـعير[٦٧]

كما ظهر في المجتمع الجاهليّ جماعة ظهرت عليهم علامات التدين والعفة، ويعود ذلك لإيمانهم باليوم الآخر والحساب، إلّا أنّه لم يرد في أخبارهم ما يدلّ على إنكارهم واستنكارهم للوثنيّة ومظاهرها، وهؤلاء هم المتألهة، وهم طائفة مثقفة واعية نظرت إلى الوجود بصورة أكثر عمقا عمّا كان عليه جمهرة العرب، وتلمست معنى الوجود وغائيته متأثرة بمحيطها، وقد كانت على مسافة قريبة من عقيدة الحنفاء؛ لإيمانهم بالحساب والبعث.

ومن أشهر هؤلاء زهير بن أبي سلمى[٦٨] (ت: ١٣ق.هـ/ ٦٠٩م)، حيث جاء في معلقته ما يدلّ على إيمانه بيوم الحساب، وأنّ أعمال الإنسان حتى خلجات نفسه تحفظ في كتاب، وأنّه لا يغيب عن علم الله تعالى شيء، فقد جاء في أبياته قوله: (الطويل)

فـلا تكـتمنَّ الله مـا فـي نفوسكم لِيَخفَـى ومَهمـا يُكـتَمِ اللَّـهُ يَعلَـمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَـعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسابِ أوْ يُعَجَّلْ فيُنقَمِ[٦٩]

كما جاء في شعر لبيد بن ربيعة[٧٠] (ت: ٤١هـ) ما يدلّ على تألهه، إذ أشار في أبيات له جاءت في ديوانه إلى أنّ المرء سيقضي حياته ساعيا عاملا، وأنّ محصلة أعماله سوف تلقى جزاء عند الله ﷻ، فقد جاء فيها قوله (الطويل):

إذا المَـرءُ أسْـرَى لَيلَـةً ظَـنَّ أنَّـهُ قَضَى عَمَلاً والمَرْءُ ما عاشَ عامِلُ

وكـلُّ امـرىءٍ يَوْمـاً سَـيَعْلَمُ سَـعْيَهُ إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ المَحاصِلُ[٧١]

والمؤمنون بالحساب كانت لهم نظرة مختلفة لوجودهم وعملهم ومصيرهم بعد الموت عن سائر الجاهليين، ولقد انعكس ذلك في أشعارهم اتزانا وحكمة.

ولم أقف فيما صح من مصادر الشعر الجاهلي على إشارات حول تفاصيل أحداث اليوم الآخر.

المطلب الثالث: الملائكة والجن في الشعر الجاهليّ.

اعتقد الإنسان منذ القدم بوجود عوالم خفيّة وكائنات غيبيّة خارجة عن حسه وإدراكه لكنّها لم تغب عن تصوره واعتقاده. وفيما يخصّ أمّة العرب في الجاهليّة فقد أسهمت بيئتهم المجدبة في تعزيز ملكة التخيل لديهم، الأمر الذي حدا بهم إلى رسم صور وتصورات مختلفة لكلّ ما جنّ عنهم، وقد أطلقوا على ما خفي عنهم من كائنات أرضيّة جنّا، وقد تخيّلوها بأشكال مختلفة وجعلوا لها مراتب متفاوتة، ونسجوا حولها الأقاصيص والحكايات، كما اعتقدوا بوجود كائنات علويّة سميت بالملائكة، وهي في اعتقادهم مخلوقات مقدسة ارتبطت قداستها بكونها وسيطة وشفيعة بين الله تعالى والبشر، كما اعتقدوا أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله تعالى – تعالى الله عن ذلك– كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، حيث جاء في آي القرآن الكريم قول الله –سبحانه–: ﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الصافات: ١٤٩–١٥٧]. وقال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[الزمر: ٤٣–٤٤]. وقد كان لمعتقد الصابئة وكذلك ما تبقى من آثار عقائد البابليين أثر في ارتباط هذه الكائنات بالوثنية

وبنيتها العقديّة التاريخيّة.

وفي هذا المبحث حديث عن طبيعة تصور أهل الجاهليّة لكلّ من الملائكة والجنّ كما جاء في ذلك من إشارات وملامح في أشعارهم.

أولاً: الملائكة في الشعر الجاهليّ.

تتصل مفردة الملك في اللغة العربيّة بمعنى الرسالة، حيث تشير المعاجم إلى أنّها مشتقة من كلمة ملأك أو مألك، والمَأْلَك والمَأْلَكَة والأَلُوك: الرسالة؛ لأنّها تؤلك في الفم[٧٢].

وعلى الرغم من أنّ الاعتقاد بالملائكة – كما أشارت إلى ذلك آيات القرآن الكريم– كان يشكل ركيزة أساسيّة في البنية العقديّة عند العرب في الجاهليّة، فإنّ الشعر الجاهليّ قد حوى إشارات نادرة جدا عن حديثهم عنها، وأبرز من عرف بذكره لها هو أميّة بن أبي الصلت (٥هـ/ ٦٢٦م)، وشعره يفتقد إلى الموثوقيّة، كما أنّه يعكس ثقافته الخاصة ولا يمثل عقيدة الجاهليين وتصوراتهم بحال[٧٣].

وفي مصادر الشعر الجاهليّ التي اعتمدتها في دراستي بيت يتيم لعلقمة الفحل[٧٤] (ت: ٢٠ق.هـ/ ٦٠٣م) يمدح فيه الحارث بن أبي شمر الغساني، وقد نفي عنه صفة البشريّة لحسن خلاله، فهو أقرب – على حد تعبير الشاعر– بالملك المتنزل من السماء، حيث قال: (الطويل)

ولســتَ لإنســيّ ولكــن لمــلأك   تنزّل من جوّ السماء يَصوبُ[٧٥]

ويظهر من البيت السابق أنّ العرب في الجاهليّة كانت تعتقد أنّ محل الملائكة هو السماء، كما أنّها كانت رمزا للطهر والعفة.

ولم يأت في أخبار الجاهليين الموثقة ما يشير إلى تصورهم للملائكة وصفاتها، والشعر الجاهليّ فيه هذه المادة العلميّة الضئيلة التي لا توفر مساحة كافية للتحليل والمناقشة واستنباط النتائج. وقد يعود إعراض الجاهليين وعزوفهم عن ذكر الملائكة في أشعارهم إلى نوع من الاحترام والتقديس لها من جهة، وإلى الجهل بماهيتها وصفاتها بصورة جيدة من جهة أخرى.

ثانياً: الجنّ في الشعر الجاهليّ.

أشارت آيات القرآن الكريم إلى اعتقاد الجاهليين بقدرات الجن الكبيرة الأمر الذي حدا بهم إلى الاستعانة بها، حيث جاء في كتاب الله تعالى قوله: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾[الجن: ٦]. وقد كان للجنّ حضور لافت في البنية الثقافيّة عند العرب قبل الإسلام، حيث تزخر كتب الأدب بالقصص الطريفة التي تناقلت عن الجاهليين حول أحاديثهم عنها، ولم يكن الجنّ كما جاء في شعر الجاهليّة كائنات غيبيّة غائبة تماما عن أنظارهم، حيث جاء في أشعارهم ذكر عام لصفاتهم، وأنواعهم، وبعض أماكن إقامتهم، وغيرها من التفاصيل، الأمر الذي يدلّ على أنّ عالم الجنّ كان قريبا جدا في احتكاكه وتعامله وتعايشه من العرب وفقا لتصورهم، وفي هذا الصدد يذكر الباحث الحوفي هذه القضيّة في مؤلفه "الحياة العربيّة من الشعر الجاهليّ" حيث جاء فيه ما نصه: "عاش هذا الشعب الفطريّ في صحراء رحيبة جديبة مليئة بالقيعان والأغوار والوهاد والنجاد والتلال، يقلّ سكانها والجائلون فيها، ويسدل الليل ستاره فيغمر الظلام والسكون والوحشة كلّ شيء، فتتسلط الأوهام وتتجسم المخاوف والأحلام، فيدعي كثير من العرب أنّهم رأوا الجنّ وخالطوها

وصادقوها..." [٧٦] ويذهب الباحث الزيتوني إلى أنّ العرب في جاهليتهم قد شبهوا عالم الجنّ بعالمهم وبنائهم الاجتماعيّ، حيث جاء في بحثه الموسوم ب "الجنّ وأحوالهم في الشعر الجاهليّ" ما نصه: "لقد عرف العرب الجاهليّون الجنّ معرفة واسعة، حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوا الجنّ عالما شبيها بعالمهم في الجزيرة العربيّة؛ ذلك أنّ الجنّ يتألفون من عشائر وقبائل تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم"[٧٧].

وصفات الجنّ في الشعر الجاهليّ تتمحور حول عدد من الخصائص، أهمها: القوّة والقدرة، فالشاعر لبيد بن ربيعة[٧٨] يذكر في معلقته جنّ البديّ – في سياق وصفه لجماعة من الرجال الأشداء في مجلس النعمان بن المنذر– بأنّها راسية الأقدام، ممّا يدلّ على ضخامتها وصلابتها وقوّتها، يقول: (الكامل)

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنَّهَا جِنُّ البَديِّ رواسياً أقدَامُها[٧٩]

وجاء في أشعار الجاهليين ما يدلّ على قدرة الجنّ على تحمل العمل الشاق، حيث جاء في معلقة النابغة (ت: نحو ٦٠٤) إشارته لقصة تسخير الجنّ لسليمان عليه السلام في بناء مدينة تدمر، التي تميّزت بضخامتها وعلو بنائها، حيث ورد في أبياته قوله: (البسيط)

إلا سليمان إذ قال الإله له: قم في البرية فاحددها عن الفند

وخيِّس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصّفّاح والعمد[٨٠]

كما ارتبط ذكر الجنّ في الشعر الجاهليّ بصفة السرعة وخفة التنقل، لذا ذهب كثير من الشعراء إلى وصف مهرة الفرسان والخيالة بالجنّ، للدلالة على سرعتهم في امتطاء الخيل ومهارتهم، وممّا جاء في ذلك من أشعار قول النابغة[٨١]: (الوافر)

وضمر كالمداح مسومات عليها معشر أشباه جن[٨٢]

ولقد ذهب العرب في الجاهليّة إلى وصف دهاة الناس بالجنّ على سبيل التشبيه، الأمر الذي يدلّ على اعتقادهم بذكائها وسعة حيلتها، وممّا جاء في ذلك من شواهد شعريّة قول الحارث بن حلزة[٨٣] (ت:٥٠ ق.هـ/ ٥٧٠م) في معلقته يمدح فيها عمرو بن هند: (الخفيف)

إرَمِيٌّ بمثله جالت الجنّ فآبت لخصمها الأجلاء[٨٤]

وأمّا صورة الجنّ، فلم تكن ثمّة هيئة محددة له في تصور الجاهليين، وقد يعود ذلك لاعتقادهم بتشكلها، وهذه السمة قد جاءت في حدّ العلماء للجنّ، حيث جاء في كتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري تعريفه للجنّ بالآتي: "أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة"[٨٥].

والجنّ في تصور العرب مراتب وأصناف كثيرة، منها: الغول، وقد سميت بذلك لتغولها؛ أي: تبدلها وتلونها، والسعلاة وهي أخبث الغيلان، وقيل: ساحرة الجنّ[٨٦]، وكذلك العرتيس، وهو كما جاء في معاجم اللغة ذكر الغيلان[٨٧]، وهذه الأصناف وغيرها هي في الجملة– مع اختلاف خصائصها وصورها كما اجتهد وتوسع في بيان ذلك اللغويين– جنّ وخواف.

لكنّ معنى الخبث والدهاء قد اقترن بصورة مباشرة باسم الشيطان، ويذهب اللغويون إلى أنّه مشتقّ من الجذر شطن، وهو قياس يتضمن معنى البعد والخبث[٨٨]. وقيل من شاط؛ أي: هلك واحترق[٨٩]. وللشيطان أسماء كثيرة جدا في اللغة، منها الأزيب؛ أيّ: الداهية[٩٠]، والخابل؛ أيّ: المفسد[٩١]. وتسمّى الحيّة في لغة العرب شيطانا[٩٢]، وقد تعود جذور هذه التسمية إلى قصة تحول الشيطان إلى حيّة لإغواء آدم، وربما وصلت هذه القصة من الأدب الديني اليهوديّ[٩٣] أو من غيره من المصادر.

ولقد جاء ذكر الشيطان في الشعر الجاهليّ كرمز للشؤم، حيث جاء في شعر المزرد[٩٤] (ت: ١٠هـ) أبيات يصف فيها صيادا يصطاد بقوسه وأكلبه، وقد فقد الصائد كلبين فساءت حالته، ثمّ يظهر الشيطان في هذا المشهد بصورة مفاجئة ساخرا متوعدا الرجل المسكين العالة والفقر، حيث جاء في أبياته قوله: (الطويل)

بنـــاتُ سَـــلُوقِيَّيْنِ كانَـــا حَياتَـــهُ   فَماتَا فأَوْدَى شَخْصُهُ فَهْوَ خامِلُ

وأَيْقَـنَ إذْ مَاتَـا بِجُـوع وخَيْبَـةٍ   وقال لهُ الشَّيطانُ إنَّكَ عائِلُ[٩٥]

لكنّ الشيطان في تصور العرب لم يكن رمزا للقبح والشر فحسب، بل كان مصدرا لإلهام الشعراء أيضا! حيث زعموا "أنّ مع كلّ فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر"[٩٦]. ولقد أطال المؤرخون حديثهم حول هذه القضيّة مقتصين أسماء أبرز شياطين الشعراء وقصصهم مع أصحابهم[٩٧]، وهذا الرصيد الأدبي التاريخيّ يدلّ على رسوخ هذه الفكرة وشيوعها في مجتمع الجاهليّة.

ولقد حفظت أشعار الجاهليّة هذا التصور، منها أبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري[٩٨] (ت: نحو ٦٠هـ) يفخر فيها بنفسه ومقارعته الخصوم، ثمّ يعقب إثر ذلك بذكر صاحبه من الجنّ على مذهب شعراء العرب أنّ لكل شاعر شيطانا، حيث جاء في قصيدته قوله: (الرمل)

فَـــرَّ مِنِّـــي هاربـــاً شَـــيْطانُهُ   حيثُ لا يُعْطِـي ولا شـيئاً مَنَـعْ

فـــرَّ مِنِّـــي حِـــينَ لا يَنْفَعُـــهُ   مُـوقَرَ الظَّهْـرِ ذَلِيـلَ المُتَّضَـعْ

ورَأَى مِنِّـــي مَقَامـــاً صـــادِقاً   ثابِـتَ المَـوْطِنِ كَتَّـامَ الوَجَـعْ

ولِســـاناً صَـــيْرَفِيًّا صـــارِماً   كحُسَـامِ السَّـيْفِ مـا مَـسَّ قَطَـع

وأَتـــانِي صَـــاحِبٌ ذُو غَيِّـــثٍ   زَفَيَـــانٌ عنـــد إنفـــاد القُـــرَعْ

قـالَ لَبَّيـكَ ومـا اسْتَصْـرَخْتُهُ   حـاقِراً لِلنَّـاسِ قَـوَّالَ القَـذَعْ[٩٩]

إذن، فبين الشيطان والشعر علاقة وطيدة العرى في تصور الجاهليين، وهذه العلاقة قائمة على أساس اعتقاد الجاهليين بامتلاك الجنّ قدرات أدبيّة بلاغيّة تفوق البشر بكثير، واعتقاد شيطنة الشعر – إن صح الوصف والتعبير – عائد إلى ملكة الخيال الواسعة عند الشعراء الذين نسبوا هذا النمط من الإبداع إلى عالم آخر يفوق قدرات البشر.

أمّا أمكنة وجود الجنّ فلم يكن ثمّة مكان لقي شهرة في استيطان الجنّ له كمحلّ عبقر، حيث فاضت أشعار الشعراء في الإشارة إلى هذا المكان، ولقد نسبوا إليه كلّ شيء تَعَجَّبُوا مِنْ حِذْقِهِ أَو جَوْدة صَنْعَتِهِ وَقُوَّتِهِ فَقَالُوا: عَبْقَرِيٌّ[١٠٠][١٠١]!!

ويبدو أنّ جنّ عبقر كان ينفرد بقدرات وخصائص ميزته عن غيره، لذا جاء في الشعر الجاهليّ وفي مدح الشعراء تشبيه لفرسان الأشداء بجنّ عبقر، ومن النماذج الشعريّة في ذلك أبيات لزهير[١٠٢] يمدح فيها الهرم بن سنان وقومه قائلا: (الطويل)

إذا فزعـوا طـاروا إلـى مسـتغيثهم   طـوال الرمـاح لا ضـعاف ولا عـزل

بِخَيـــل عليهـــا جنـــة عبقريّـــة   جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا[١٠٣]

ولقد جاء في شعر الجاهليين حديث عن أصوات الجنّ وأوصافها التي امتازت بحدتها وارتفاعها، وذلك أثناء تنقلهم في الفلوات والبوادي، ففيها يسمعون عزيف الجنّ[١٠٤] وزجله[١٠٥]، ويلحظ من هاتين المفردتين ودلالاتهما في اللغة ارتباطهما بمعنى الجلبة وارتفاع الصوت، ويبدو أنّ العرب قد خالت وتخيلت أصوات الجنّ بهذه الصفات والخصائص، ولقد جاء

في معلقة الأعشى[١٠٦] (ت: ٧هـ) وصفه لإحدى البقاع الموحشة في بوادي العرب وقد ارتفع فيها زجل الجنّ، حيث قال: (البسيط)

وبلـدةٍ مثـلِ ظهـرِ التُّـرسِ موحشـةٍ   للجِنّ بِاللَّيْلِ في حَافَاتِهَا زَجَلُ[١٠٧]

ويلحظ ممّا سبق عرضه في هذا المبحث، أنّ أشعار الجاهليين لم تتضمن إشارات إلى عبادة الجاهليين للجنّ أو تأليهها، وإنّما هي مخلوقات تمتلك القوة والمقدرة العظيمة والمهارة، وهذه الصفات دفعت الجاهليين إلى الاستعاذة منها، خوفا من أذاها وشرها، وقد جاء هذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾[الجن: ٦]. ولقد روى الطبري بسنده عن ابن عباس قوله: "كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثما"[١٠٨].

المطلب الرابع: تقويم الإسلام لمعتقدات العرب في الجاهليّة في مبحث الغيب.

إنّ تصورات العرب في الجاهليّة ومعتقداتهم كانت تتسم بنوع من الاضطراب والفوضى مع وجود تشعب ديني يعود لاتصال العرب بالعديد من الأمم والشعوب على مر العصور، الأمر الذي أسهم في هضم العديد من الأفكار والتصورات والأساطير داخل إطار واحد وبنية عقدية بعيدة عن التماسك. ولقد استطاع الإسلام من خلال منظومته الإيمانية إرشاد الجاهليين إلى الحق في نهج واضح وعلى صراط مستقيم.

وفي هذا المبحث وقفة عند أهمّ التصورات التي قوّمها الإسلام والمفاهيم الإيمانيّة التي أضافها لهم فيما يتعلق بقضايا الغيب التي تناولتها هذه الدراسة، أعرضها في المحاور الآتية:

١- **الروح:** حار الجاهليّون في فهم حقيقتها، كما اعتقدوا بخرافات عديدة حولها، كاعتقادهم باستحالة الروح المعذبة طيرا هامة للمطالبة بثأرها، ولقد نهى الإسلام عن هذه الخرافة، حيث جاء في حديث النبيّ ﷺ: "لا هامة"[١٠٩]، ولقد لخص الإسلام حقيقة الروح بكونها من أمر الله تعالى وبنفخة من روح الله ﷻ، ولقد جاء في كتاب الله تعالى قوله –سبحانه–: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[الإسراء: ٨٥].

٢- **الموت:** نسب العرب في الجاهليّة الموت إلى الدهر –مصدر الشر والألم في اعتقادهم– وقد كان الموت يمثل عند جمهورهم نهاية لوجود الإنسان، وقد تبلور هذا التصور عند الجاهليين نتيجة نظرتهم الماديّة العبثيّة للوجود التي أفقدتهم القدرة على الربط بين الموت كجزء من مكونات الوجود، والغاية من وجود الإنسان ووجود هذا الوجود. ولقد جاء الإسلام ببيان حقائق إيمانيّة عدة حول الموت، أهمها: أنّ الموت مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وأنّ الله تعالى خلقه لغاية ابتلاء العباد، وهذه القضيّة الإيمانيّة قد جاءت في مستهلّ سورة تبارك بقول الله ﷻ: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[الملك: ١-٢]. كما أوضح الإسلام أنّ مصير الإنسان –بعد انقضاء أجله في الدنيا– إلى الله ﷻ لا إلى العدم كما كان في اعتقاد أهل الجاهليّة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**﴾[ق: ٤٣]. فالموت لا يشكل نهاية وجود الإنسان، بل انتقاله إلى مرحلة وجوديّة أخرى تعرف بالبرزخيّة.

٣- **البعث واليوم الآخر:** لمّا كان العرب في الجاهليّة يجهلون قيمة "الوجود المميز" للإنسان في هذا الوجود، و"مهمته

المميزة" كخليفة لله تعالى في الأرض اعتقدوا أنّ موته يشكل نهاية لوجوده كما سبق بيان ذلك، وقد أفضى ذلك بداهة إلى إنكارهم للبعث واليوم الآخر، وقد جاء في آي القرآن الكريم مناقشة أسباب إنكار المشركين للمعاد بأسلوب عقليّ لدلالة وقوع الوعد وقدرة الله ﷻ على البعث، قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾**[يس: ٧٧-٧٩].

٤- **الحساب والثواب والعقاب:** كان من دوافع الالتزام الخلقي والديني عند العرب في الجاهليّة اعتقادهم بثواب وعقاب دنيويّ، ولقد أقرّ الإسلام هذا الدافع مضيفا دعوته إلى الإيمان بثواب وعقاب أخروي، ليثاب المحسن ويعاقب المسيء، حيث توضع الموازين القسط، قال تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾**[الأنبياء: ٤٧]، والثواب والعقاب في الآخرة هو وعد الله تعالى لعباده المؤمنين ووعيده للكافرين والظالمين، والإيمان به هو إيمان بعدالة الله تعالى، كما هو إيمان بقيمة وجود الإنسان ومهمته في تحقيق العبوديّة لله تعالى.

٥- **الملائكة:** آمن العرب في الجاهليّة بوجود الملائكة معتقدين فيها تصورات باطلة بوظيفتها وماهيتها، وقد جاء الإسلام بتقويم تلك التصورات، حيث جاء في كتاب الله تعالى قوله –سبحانه–: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [الصافات: ١٤٩-١٥٧]. وفي مواضع أخرى عديدة **من أي القرآن الكريم.**

٦- **الجنّ:** استوعبت البنية العقديّة عند العرب في الجاهليّة تصورات متعددة حول الجنّ من حيث أشكالها وصفاتها، ولقد جاء الإسلام بالكثير من التوجيهات الإيمانيّة لتصحيح المفاهيم الخاطئة حولها واستبدالها بمفاهيم جديدة، منها: أولا: بيان أنّ الجنّ أمّة مكلفة بالعبوديّة لله ﷻ، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[الذاريات: ٥٦]. وفي هذا تقويم لما اعتقده بعض الجاهليين بوجود نسب بين الله تعالى والجنّ، وفي هذا السياق جاء في كتاب الله تعالى قوله –سبحانه–: **﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** [الصافات: ١٥٨-١٥٩]. ثانيا: إنّ الاستعانة بالجنّ في الكهانة والسحر هو شكل من أشكال الشرك بصفات الله تعالى وذلك في نسبة علم الغيب لها والقدرة على النفع والضر، ثالثا: نفى الإسلام تسلط الجنّ على البشر، كما جاء في حديث النبيّ ﷺ قوله: "لا غول"[١١٠]، والمعنى إبطال ما كانت العرب تزعُمه من تلوّن الغول بالصور المختلفة وإضلالها للبشر، وأنّ شرها مدفوع بذكر الله تعالى[١١١].

النتائج.

يمكن إيجاز أبرز نتائج الدراسة في النقاط الآتية:

- كانت نظرة العرب في الجاهليّة إلى الموت تغلب عليها الحيرة الاضطراب، ولم يظهر في أشعارهم حديث عن حياة برزخيّة تفصل بين عالميّ الدنيا والآخرة، وإنّما ظهر في أشعارهم تصور هو أقرب منه للخرافة هو اعتقادهم باستحالة روح الإنسان أو عظامه طيرا هامة، وهذا التصور له امتداد تاريخيّ في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد ارتبط في

ثقافة العرب في الجاهليّة بظاهرة اجتماعيّة شاعت في بيئتهم وهي الثأر.

- تباينت توجهات العرب في الجاهليّة في مسألة الإيمان بالبعث، ولقد أظهرت مادة الشعر الجاهليّ عزوف جمهرة العرب في الجاهليّة –بصورة عامة– عن مناقشة ما يتعلق بمصير الإنسان بعد الموت.
- أشارت نصوص الشعر الجاهليّ إلى وجود شعيرة جنائزيّة هي ربط البلايا، دلّت على وجود طائفة ظنت بالبعث لكن لم يرد عنها شيء حول تصورها لطبيعة البعث والآخرة.
- لم تخل نصوص الشعر الجاهليّ من إشارات دالة على وجود طائفة في الجاهليّة آمنت بالبعث والحساب، وقد تمثلت بأهل الكتاب والحنفاء والمتألهة.
- آمن الجاهليّون بوجود الملائكة والجنّ، ولقد جاء في أشعارهم ما يدلّ على اعتقادهم باتصاف الجنّ بالعديد من الصفات، أهمها: القدرة، والسرعة والذكاء، وقد ذهبوا إلى الاستعاذة منها وكذلك الاستعانة بها في عدد من أوابدهم كالكهانة والسحر.
- جاء الإسلام بتربية إيمانية عالجت تصورات الجاهليين في قضايا الغيب، بتقديم الحقائق المتصلة بها عن طريق الوحي الإلهي، والتأكيد على مفهوم العبوديّة لله تعالى والإيمان بغائيّة الوجود.

الهوامش.

(١) يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٣٩٢هـ، (ط٢)، ج٢، ص١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ج٥، ص٢٢.

(٣) مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م)، المبارك، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلميّة، ١٩٧٩م، (د. ط)، ج١، ص٣٢٣. وينظر: محمد ابن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله كبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، ج١١، ص١٣٠.

(٤) محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، عنى بشرحه وتصحيحه: محمد بهجت الأثري، (ط٢)، ج١، ص١٥.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٤٤.

(٦) سعيد غراب، **من روائع الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ**، دسوق، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، (ط١)، ص١٥.

(٧) شاعرة جُهنيّة اشتهرت بهذه القصيدة في رثاء أخيها، ليس لها ترجمة وافية، وقد اختلف في اسمها حيث ذُكرت في بعض المراجع الأدبية باسم سلمى وفي مراجع أخرى بسعدى. ينظر: عبد الملك بن قريب الأصمعيّ (ت ٢١٦هـ/٨٣١م)، **الأصمعيّات**، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، (ط٥)، هامش صفحة ١٠١ إشارة إلى كلام المحققين.

(٨) الأصمعيّ، **الأصمعيّات**، ص١٠١، أخذا من كلام المحقق.

(٩) المصدر نفسه، قصيدة ٢٧، أبيات: ١،٢، ٤–٧، ٢٣، ص١٠١–١٠٤.

(١٠) وإلى هذا المعنى ذهب ثعلبة العبديّ في قصيدته التي يفخر فيها بفروسيّته وشجاعته، ويصف عتاده للقتال واستهانته بالموت، مخبرا أنّ المنية تمضي حيث تريد، لا يمنعها الحراس ولا الجند الكثيف، وممّا جاء في قصيدته قوله:

ولو كُنْتُ في غُمْدَانَ يَحْرُسُ بَابَهُ   أَرَاجِيلُ أُحْبُوشٍ وأَسْوَدُ آلِفُ
إذاً لأَتَتْنِي حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي   يَخُبُّ بها هَادٍ لإِثْرِيَ قَائِفُ
أَمِنْ حَذَرٍ آتِي المَهَالِكَ سَادِراً   وأَيَّةُ أَرْضٍ ليس فها متالف

المفضل بن محمد بن يعلى الضبيّ (ت ١٧٨هـ/٧٨٠م)، **المفضليّات**، شرح وتحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ٢٠١٦م، (ط١١)، قصيدة ٧٤، أبيات: ١٤-١٦، ص٢٨٣. وجاء في شرح الأبيات في هامش الصفحة ذاتها: "غمدان: حصن منيع باليمن. أراد بالأراجيل: الرجالة، جمع أرجال، وأرجال جمع راجل، مثل: صاحب وأصحاب وأصاحيب. الأحبوش: الحبش، الأسود: أراد به الحيّة. الآلف: الآنس بالمكان. يخبّ: يسرع، من الخبب. القائف: الذي يقوف الآثار يتبعها. السادر: الذي لا يهتمّ لشيء ولا يبالي ما صنع. يريد أنّه يأتي المهالك لا يبالي، فهو ينكر على من يتهمه بالحذر.

(١١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٩٠.

(١٢) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٩٢.

(١٣) هو لبيد بن ربيعة العامريّ، كان شاعرا من فحول الشعراء، أدرك الإسلام وأسلم، توفي عام ٤١هـ. ينظر: عبد الله بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **الشعر والشعراء**، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ، (د. ط)، ج١، ص٢٦٦. وينظر: علي بن أبي الكرم ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي عوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، (ط١)، ج٤، ص٤٨٢.

(١٤) لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ/٦٦١م)، **ديوان لبيد بن ربيعة**، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ٢٠٠٤م، (ط١)، بيت: ٦، ص٥٦.

(١٥) أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، (د. ط)، ج٢، ص٣٧٦.

(١٦) علي بن الحسين المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، وضع فهارس الكتاب: يوسف داغر، إيران، دار الهجرة، (د. ط)، ج٢، ص١٣٢.

(١٧) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٢-١٣٣.

(١٨) **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٣.

(١٩) الآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج٢، ص:٣١١.

(٢٠) هو حرثان بن الحارث، أحد بني عدوان، شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، توفي نحو: ٦٠٠م. ينظر: أبو الفرج علي ابن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، بيروت، دار الفكر، (ط٢)، ج٣، ص٨٦. وينظر: خير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، (ط١٥)، ج٢، ص١٧٣.

(٢١) الضبيّ، **المفضليّات، قصيدة** ٣١، بيت: ٣، ص١٦٠.

(٢٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٦٢٤.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ج١٢، ص٦٢٥.

(٢٤) **المصدر نفسه**، ج١٤، ص٤٥٤.

(٢٥) **المصدر نفسه**، ج١٤، ص٤٥٤.

(٢٦) روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ، وَلاَ هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ الإِبِلِ، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيُخَالِطُهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟». محمد ابن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، كتاب الطبّ، باب: لا هامة، حديث رقم (٥٧٧٠).

(٢٧) محمد عبد الكريم الشهرستانيّ (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨١م، (ط١)، ص٢٣٦.

(٢٨) ينظر: هوستن سميث (ت ٢٠١٦م)، **أديان العالم**، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ٢٠٠٥م، (ط١)، ص١٠٨-١٠٩. وينظر: أ.س ميغوليفسكي، **أسرار الديانات القديمة**، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، دار علاء، ٢٠١٢م، (ط١)، ص١٥١.

(٢٩) علي حسن جاسم الجنابي وفردوس ياسين حميد عبد الله، القبر في عقائد العرب قبل الإسلام. **مجلة تكريت للعلوم الإنسانيّة**، العراق، المجلد (٢٠)، العدد ١١، ٢٠١٣م، ص١٥٩.

(٣٠) هو من بني عبس، شاعر من شعراء الجاهليّة، وفارس من فرسانها، وصعلوكٌ من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد، توفي نحو ٥٩٤م. ينظر: الزركليّ، **الأعلام**، ج٢، ص٢٢٧.

(٣١) الأصمعيّ، **الأصمعيات**، قصيدة ١٠، بيت: (٣، ٤)، ص٤٤.

(٣٢) هو عبيد بن الأبرص بن عوف الأسدي، من مضر، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، توفي نحو ٦٠٠م. ينظر: الزركليّ، **الأعلام**، ج٤، ص١٨٨.

(٣٣) هي القصيدة الثانية عشرة، وجاء في كلام المحقق حسين نصّار عن هذه القصيدة ما نصه: "لم يرد لهذه القصيدة ذكرٌ في غير الديوان، ولذلك يشك في نسبتها إلى عبيد، وربما كانت قطعة من القصيدة السابقة (يقصد القصيدة رقم ١١)، أو خليطا بين أبيات لأوس (يقصد أوس بن حجر) وعبيد، وإن كانت تخالف حائيّة عبيد السابقة في أفكارها، على الرغم من تشابههما في القافية والوزن وبعض العبارات." انتهى كلامه. ويفهم من عبارة المحقق أنّه يشكك في نسبة هذه القصيدة لعبيد وانتسابها لشاعر آخر هو أوس بن حجر، لكنّ هذا الخلاف لا يمنع من الاستشهاد بتلك الأبيات، فهي في النهاية منسوبة إلى شاعر من شعراء الجاهلية. عبيد بن الأبرص الأسدي (ت نحو ٦٠٠م)، **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق: حسين نصار، مصر، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٧م، (ط١)، ص٣٨.

(٣٤) ابن الأبرص، **ديوان عبيد بن الأبرص**، قصيدة ١٢، بيت:١٦-١٨، ٢١، ص٤٠-٤١.

(٣٥) وذلك في اعتقادهم، وقد سبق بيان ذلك وتفصيله في بحثنا الموسوم ب: "القضاء والقدر في الفكر الجاهليّ: دراسة تاريخيّة عقديّة".

(٣٦) لابدّ من الإشارة في هذا المقام إلى أنّ الرثاء كان من أبرز أغراض الشعر الجاهليّ، حيث أفرغ الجاهليّون من خلاله أحزانهم وتفجعهم على فراق أحبتهم، ولقد عرفت الشاعرة المجيدة الخنساء برثائها لأخويها وأطالت نحيبها خاصة على فراق أخيها صخر، الذي أخذت تبكيه بلوعة وحرقة سطرها التاريخ، حيث جاء في ديوانها قولها:

هو الفتى الكامِلُ الحامي حَقيقَتَهُ ... مأْوى الضّريكِ إذّا مَا جاءَ منتابَا

يَهدي الرّعيلَ إذا ضاقَ السّبيلُ بهم ... نَهدَ التّليلِ لصَعْبِ الأمرِ رَكّابا

المَجْدُ حُلّتُهُ، وَالجُودُ عِلّتُهُ ... والصّدقُ حوزتُهُ إنْ قرنُهُ هابَا

خطّابُ محفلةٍ فرّاجُ مظلمةٍ ... إنْ هابَ معضلةً سنّى لهاَ بابَا

حَمّالُ ألويَةٍ، قَطّاعُ أوديَةٍ ... شَهّادُ أنجيَةٍ، للوِتْرِ طَلاّبا

راجع: تماضر بنت عمرو الخنساء (ت ٢٤هـ/٦٤٥م)، **ديوان الخنساء**، شرح معانيه ومفرداته: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٣م، (ط١)، القصيدة الأولى: ص١٤.

ويعود تفجّع الخنساء الشديد من مقتل أخويها إلى نظرتها المحدودة إلى الوجود، لكنّ هذا الحال قد انقلب تماما بعد إسلامها، حيث أيقنت أنّ الدنيا هي دار بلاء زائلة، وأنّ الموت هو أول منازل الآخرة، وهي الدار الباقية، وأنّ الغاية من وجود الإنسان هي عبادة الله تعالى وتحقيق مرضاته للفوز بجناته جنات الخلود، لذا رأت الخنساء في استشهاد أبنائها الأربعة في القادسية شرفا وتكريما لها، حيث قالت: "الحمد للّه الّذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته" ولم تزد على ذلك شيئا! راجع: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، (ط١)، ج٨، ص١١٢.

(٣٧) عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م)، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ، (ط١)، ج٣، ص٢٩٦. وقد جاء ذكر هذا البيت في المبحث السابق، وهو منسوب إلى أبي بكر ابن الأسود، وثمة بيت آخر ذكره الشهرستانيّ في الملل والنحل (ص٢٣٦) عند حديثه عن شبهة إنكار الجاهليين للبعث والقيامة، وهو:

حيـــاة ثـــم مـــوت ثـــم بعـــث   حـــديث خرافـــة يـــا أم عمـــرو

لكنّي لم أجد نسبة أكيدة في كتب المؤرخين لقائل هذا البيت ووقت قوله، لذا أعرضت عن ذكره في المتن.

(٣٨) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة، شاعر من أصحاب المعلقات، توفي نحو ٦٠٤م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٥٤.

(٣٩) التبريزي، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، معلّقة النابغة، أبيات: (٣٧، ٣٩، ٤٠)، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٤٠) عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر جاهليّ. وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٩٤.

(٤١) الضبيّ، **المفضليّات**، قصيدة ٣٥، البيتين:(٤، ٦)، ص١٧٤. وممّا جاء في شرح الأبيات في هامش الصفحة ذاتها: شهر بني أميّة: ذو الحجة. أذمّك: أي لا أذمك، الترقرق: جولان الدمع في العين. العفاء: الهلاك.

(٤٢) القرطبيّ، محمد بن أحمد (شمس الدين)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٢، ص٤٣٢. وهذا العبارة ليست للقرطبي وإنّما نقلها عن مجموعة من العلماء هم: أَبُو وَائِلٍ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زيد.

(٤٣) فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، (ط٣)، ج٢٧، ص٦٨٢.

(٤٤) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٨٥.

(٤٥) الآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج٢، ص٣٤٠.

(٤٦) جاء في ترجمة الزركلي له: "هو جُريبة بن أشيم الفقعسيّ: شاعر جاهلي، كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن من عقرت مطيته على قبره يحشر عليها، وله في ذلك أبيات، نسبته إلى فقعس بن الحارث من بني أسد بن خزيمة". انتهى كلامه. ولم يشر إلى زمن ولادته وكذلك وفاته. الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص١١٨-١١٩.

(٤٧) الشهرستانيّ، **الملل والنحل**، ص٢٤٠. وجاءت هذه الأبيات في مصادر أخرى منها: محمد بن حبيب أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، **المحبر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (د. ط)، ص٣٢٣. المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م)، **البدء والتاريخ**، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ط) ج٢، ص١٤٤. والآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج٢، ص٣٤٠.

(٤٨) سبق التعريف به.

(٤٩) يحيى بن علي أبو زكريا التبريزي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٩م)، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، ضبط نصوصه وشرح حواشيه وقدّم لأعلامه: عمر الضباع، بيروت، دار الأرقم، (د. ط)، معلقة لبيد بن ربيعة، بيت: ٧٦، ص١٨٠.

(٥٠) هو منقذ بن الطمّاح بن قيس بن طريف بن عمرو الأسدي، فارس وشاعر جاهلي، وفي اسمه خلاف بين العلماء، توفي في عام ٥٧١م. ينظر: الزركليّ، **الأعلام**، ج٧، ص٣٠٨.

(٥١) الضبيّ، **المفضليّات**، قصيدة ١٠٩، البيتين: ١٢-١٣، ص٣٦٨.

(٥٢) جاء في نصوص الإنجيل إشارات دالة على وجود يوم يعاقب فيه المذنب ويثاب فيه الطائع، حيث جاء في إنجيل يوحنا: (لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ).[يوحنا٥: ٢٨، ٢٩]. كما جاء في إنجيل متى على لسان المسيح عليه السلام – إن صح عنه– مخاطبا اليهود المتزمتين: (أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟) [إنجيل متى ٢٣: ٣٣]. والإيمان باليوم الآخر في اللاهوت النصرانيّ يتمركز حول شخص المسيح عليه السلام، فهو الديّان الذي سيحاسب الناس في ذلك اليوم، كما يرتبط قيام الساعة بمجيئه.

(٥٣) تخلو أسفار موسى الخمسة من ذكر للقيامة أو البعث، أمّا أسفار الأنبياء ففيها إشارات جيدة حول ذلك، فقد جاء في سفر دانيال: (وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ). [دانيال: ١٢: ٢]. وتشير دائرة المعارف الكتابيّة إلى أنّ اليهود لم يكن لديهم مفهوم واضح عن القيامة قبل السبي البابليّ، وجاء الأنبياء بأفكار حول الخلود والدينونة بعد ذلك، إلا أنّها تتسم بالغموض والتشويش، وقد يعود ذلك إلى المراحل التاريخيّة التي مرّ بها اليهود وتأثرهم بمحيطهم. ينظر: مجموعة من المؤلفين، **دائرة المعارف الكتابيّة**، دار الثقافة، (د. ط)، ج١، ص٩٨.

(٥٤) ينظر: جمشيد يوسفي، **الزرادشتية**، الجزائر– لبنان: الوسام العربي ومنشورات زين، ٢٠١٢م، (ط١)، ص٢٩٤. ولقد جاء في ملحق هذا الكتاب ترجمة لبعض نصوص "الجاتها" (الأناشيد السماوية)، منها ما تضمن إشارة إلى حياة بعد الموت، حيث جاء في نشيد اشتودجات ترنيمة ٤٦ فقرة ١١: "الذين يقدمون التضحيات، والأمراء المشعوذون... سوف يلقون العذاب بأرواحهم وضمائرهم، عندما يأتون إلى البرزخ، وإلى الأبد سينزلون في مقرّ الشر". المرجع نفسه، ص٤٦٠. وهذا النص يدلّ على تضمن عقيدة الزرادشتية للثواب والعقاب بعد الموت.

(٥٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، توفي نحو ٥٤٥م. ينظر: محمد الجمحي ابن سلّام (ت ٢٣٢هـ/٨٤٥م)، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، (د. ط)، ج١، ص٥١. وينظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص١٠٧.

(٥٦) الأعلم يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٤م)، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربيّ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م، (ط٢)، قصيدة ٢٣، أبيات: ١٣، ١٤، ١٥، ص١٣٣-١٣٤.

(٥٧) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٣٢٥.

(٥٨) شاعر من دهاة الجاهليين، من أهل الحيرة، توفي نحو ٥٩٠م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٢٢٠.

(٥٩) من الجدير بالذكر أنّ ثمّة مصطلحات لها تعلّق بالجنّة والنار، كالفردوس والجحيم، لكنّ هذه المصطلحات لقيت عزوفا في استعمالها رغم معرفة الجاهليين لها، وهي مصطلحات دخيلة معربة، وقد وردت كلمة الفردوس مرة واحدة في ديوان عدي قصيدة ١٠٣، البيت ٩، ص١٥٩. لكنّ هذه القصيدة تحوم حولها شبهة الانتحال، كما جاءت هذه المفردة في شعر أميّة، إلّا أنّ قصائده في ذكر الجنّة والنار هي في الغالب منتحلة في عصور إسلاميّة، أمّا كلمة جهنّم فلم أقف على ذكر لها في

مصادر الشعر الجاهليّ التي اعتمدتها في دراستي إلّا أنّها جاءت في شعر أميّة بن أبي الصلت، كما وجدتها في ديوان عنترة في قوله:

مـــاء الحيـــاة بذلـــة كجهـــنّم   وجهـــنم بـــالعز أطيـــب منـــزل

وهذه الأبيات لم تذكر في ديوان عنترة برواية الشنتمري، وقد تكون هذه المفردة حاضرة في دواوين شعراء آخرين، وحصر أعدادهم وأبياتهم يحتاج إلى عمليّة استقراء تام للشعر الجاهليّ.

وعلم أهل الكتاب قد أسهم في دخول هذه المفردات وغيرها إلى خزانة اللغة العربيّة، وليس بعيدا أنّ الكثير من العرب في الجاهليّة قد عرفوا هذه المصطلحات الدخيلة إلا أنّها لم تحظ من قبلهم باستعمال؛ ربما لعزوف الجاهليين عموما عن ذكر الآخرة كما أشرت سابقا.

(٦٠) عدي بن زيد العبادي (ت ٥٩٠م)، **ديوان عديّ بن زيد**، تحقيق: محمد جبار المعيبد، بغداد، دار الجمهوريّة للنشر والطبع، ١٩٦٥م، (د. ط)، قصيدة ٢٣، بيت: ٩، ص١٠٣.

(٦١) ومن الجدير بالإشارة أنّ الرهبنة ولبس المسوح التي عرف بها الرهبان النصارى كانت ظاهرة استوقفت العديد من الشعراء، وقد جاء في أشعارهم ذكرهم لهذه الظاهرة التي تبدو في بنيتهم العقديّة ومنهجهم الفكريّ غريبة بعض الشيء.

(٦٢) العبادي، **ديوان عديّ بن زيد**، قصيدة ١٦، بيت: ١٨، ص٨٦. ويشير المحقق إلى أنّ هذا البيت زيادة من مصور ميلانو؛ أيّ أنّه غير موجود في النسخة الأصليّة، لكنه لم يشر إلى تضعيف أو توثيق له. ينظر: هامش الصفحة ذاتها.

(٦٣) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر، توفي نحو ٦٥ق.هـ. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص١٤٠.

(٦٤) الأصمعيّ، **الأصمعيات**، قصيدة ٢٣، أبيات: (١-٣، ١١)، ص٨٥-٨٦.

(٦٥) جواد محمد علي (ت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، ٢٠٠١م، (ط٤)، ج١٢، ص٣٨.

(٦٦) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي، من الحنفاء توفي نحو ١٧ قبل الهجرة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٦٠.

(٦٧) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، ج٢، ص٥٦.

(٦٨) هو ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية. توفي نحو: ٦٠٩م. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص١٣٩. وينظر: الزركليّ، **الأعلام**، ج٣، ص٥٢.

(٦٩) التبريزي، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، معلقة زهير، أبيات: ٢٧-٢٨، ص١٣١.

(٧٠) سبق التعريف به.

(٧١) العامريّ، **ديوان لبيد بن ربيعة**، أبيات: (٣، ١١)، ص٨٤-٨٥.

(٧٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٣٩٢. وينظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، **المفردات في غريب القرآن**، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دمشق- بيروت، دار القلم – الدار الشامية، ١٤١٢هـ، (ط١)، ص٨٢.

(٧٣) وممّا جاء في ديوان أميّة من أبيات يذكر فيها الملائكة قوله:

بـــإذن الله فاشـــتدت قـــواهم   علـــى ملكـــين وهـــي لهـــم وثـــابُ

والوثاب بلغة حمير الفراش، فهذا البيت يشير إلى أنّ الملائكة تفترش السماء.

وجاء في موضع آخر في الديوان أبيات فيها وصف مطوّل للملائكة، منها:

رسـل يجوبـون السـماء بـأمره لا ينظـرون ثـواء مـن يتقصّـدُ
فهـم كـأوب الـريح بينـا أدبـرت رجعـت بـوادرُ وجههـا لا تُكـرد
حـذ منـاكبهم علـى أكتـافهم زفٌ يـزفّ بهـم إذا مـا اسـتنجدوا
وإذا تلامـذة الإلـه تعـاونوا غلبـوا ونشـطهم جنـاحٌ مُعتـدُ
نهضـوا بأجنحـة فلـم يتواكلـوا لا مبطـئ مـنهم ولا مسـتوغدُ

راجع: أميّة بن عبد الله أبي الصلت (ت ٥هـ/٦٢٦م)، **ديوان أميّة بن أبي الصلت**، جمع وتحقيق: عبد الحفيظ السطلي، (ط٢)، قصيدة ٣، بيت: ١٥، ص٣٤٠. وأيضا: المرجع نفسه، قصيدة ١٠، أبيات: ٣٣-٣٧، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٧٤) علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، توفي نحو ٢٠ ق.هـ. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٢٤٧.

(٧٥) الضبيّ، **المفضليات**، قصيدة ١١٩، بيت: ٢٦، ص٣٩٤. وراجع أيضا: الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، قصيدة ١، بيت: ٤٠، ج١، ص١٤٨. ولقد جاء في كلام محققيّ المفضليّات (أحمد شاكر وعبد السلام هارون) تعقيبا على هذا البيت ما يدلّ على أنّه زيادة عمّا جاء في نسخة المخطوط الأصليّة، حيث جاء في هامش صفحة ٣٩٤ ما نصه: "وهذا البيت زيادة من المرزوقيّ ونسخة فينا وهامش نسخة المتحف البريطانيّ، وهو ثابت في اللسان (٢:٢٢) مع ذكر خلاف في نسبته".

(٧٦) أحمد الحوفيّ، **الحياة العربيّة من الشعر الجاهليّ**، مصر، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، (ط٣)، ص٣٦٦.

(٧٧) عبد الغنيّ الزيتوني، الجنّ وأحوالهم في الشعر الجاهليّ، **مجلة مجمع اللغة العربيّة**، دمشق، ١٩٨٩م، مجلد ٦١، ج١، ص١٢٥(١٢٥-١٣٧).

(٧٨) سبق التعريف به.

(٧٩) التبريزي، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، معلقة لبيد، بيت: ٧١، ص١٧٨.

(٨٠) المصدر نفسه، معلقة النابغة، أبيات: ٢٢،٢٣، ص٣٣٥.

(٨١) سبق التعريف به.

(٨٢) المصدر نفسه، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، قصيدة ٢٣، بيت: ٢١، ص٢٤٨. ولقد أشار الشنتمريّ أنّ هذه القصيدة لم تصله برواية الأصمعيّ التي اعتمدها في مؤلفه، وإنّما نقلها عن غيره، وقد أتى بها تتميما للفائدة.

(٨٣) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي، وهو أحد أصحاب المعلقات، توفي نحو ٥٠ ق.هـ. ينظر: الزركليّ، **الأعلام**، ج٢، ص١٥٤.

(٨٤) التبريزي، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، معلقة الحارث بن حلّزة، بيت: ٦٨، ص٢٨٨. وجاء في شرح البيت في هامش الصفحة ذاتها: "إرَميّ: نسبه إلى إرم عاد، إي ملكه قديم كان على عهد إرم... وقوله: بمثله جالت الجنّ: الجنّ في هذا الموضع دهاة الناس وأبطالهم. وجالت: فاعلت من المجالاة، وهي المكاشفة، يقول: بمثل عمرو بن هند كاشفت الجنّ الناس. وآبت: رجعت، وقد فلج خصمهم على كل من خاصمهم. والأجلاء: جمع جلا. والجلا: الأمر المنكشف ...".

(٨٥) محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤هـ، (ط٢)، ج١، ص٢٩٢.

(٨٦) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٣٣٦.

(٨٧) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص١٣٠.

(٨٨) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٢٣٨.

(٨٩) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٢٣٨.

(٩٠) **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٥٤.

(٩١) **المصدر نفسه**، ج١١، ص١٩٧.

(٩٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٢٣٨.

(٩٣) راجع: التوراة: سفر التكوين/ ٣(١-٥).

(٩٤) هو مزرد بن ضرار بن حرملة المازني الذبيانيّ الغطفانيّ، أدرك الإسلام في كبره وأسلم، وله صحبة، توفي في السنة العاشرة من الهجرة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٢١٢.

(٩٥) الضبيّ، **المفضليّات**، قصيدة ١٧، البيتين: ٦٧-٦٨، ص١٠١. وهذا الشاعر مخضرم، ولم يشر المحقق إلى زمن نظم الشاعر للقصيدة، لكنّ مواضيع القصيدة من نسيب وفخر ومفاخرة ترجّح احتمال نظمها في الجاهليّة والله أعلم. وجاء في شرح الأبيات في هامش الصفحة ذاتها: "السلوقيّة: كلاب تنسب إلى سلوق، قرية باليمن. عائل: من عال يعيل: افتقر، أو من عال يعول: كثر عياله."

(٩٦) عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **الحيوان**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤هـ، (ط٢)، ج٦، ص٤٣٣.

(٩٧) ومن المراجع التي تحدثت عن شياطين الشعراء مقدمة القرشيّ في مؤلفه المعروف جمهرة أشعار العرب، إذ بوّب لهذا الموضوع بعنوان: "ما حفظ عن الجنّ من الشعر"، وكذلك ما جاء في كتاب الحيوان للجاحظ، وغيرهما من المصادر.

(٩٨) هو سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل، الذبيانيّ الكناني اليشكري، أبو سعد، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، توفي نحو ٦٨٠م. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص١٤٦.

(٩٩) الضبيّ، **المفضليات**، قصيدة ٤٠، أبيات: ١٠٠- ١٠٥، ص٢٠١.

(١٠٠) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٥٣٤.

(١٠١) وإلى اليوم نستخدم هذه المفردة للتعبير عن قدرات مميزة عند بعضهم، فنقول إذا كان المَعنِيُّ رجلا بأنّه عبقريّ وللأنثى عبقريّة!

(١٠٢) سبق التعريف به.

(١٠٣) الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، قصيدة ٢، بيت: ١٢-١٣، ج١، ص٢٩٢.

(١٠٤) والعَزْفُ والعَزِيفُ في اللغة كما جاء في معاجمها: صَوْتٌ فِي الرَّمْلِ لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَرَمْلٌ عَازِف وعَزَّاف: مُصوِّت، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ العَزِيف أَصوات الجِنّ، وعَزِيفُ الْجِنِّ: جَرْسُ أَصواتها. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**،ج٩، ص٢٤٤.

(١٠٥) والزَّجَل بِالتَّحْرِيكِ: اللَّعِب والجَلَبة ورَفْع الصَّوْتِ الطَّرِب. ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ/٧٩١م)، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، ج٦، ص٦٧. وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٣٠٢.

(١٠٦) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام إلّا أنّه توفي قبل أن يسلم، وقد حُفظ من شعره قصيدة في مدح النبيّ ﷺ، توفي في العام السابع من الهجرة. ينظر: المرزباني، **معجم الشعراء**، **ص**٤٠١. وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٣٤١-٣٤٢.

(١٠٧) التبريزي، **شرح المعلقات العشر المذهبات**، معلقة الأعشى، بيت: ٣٣، ص٣١١. و"الزجل: الصوت العالي الرفيع". ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٣٠٢.

(١٠٨) محمد بن جرير الآملي الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج٢٣، ص٦٥٤.

(١٠٩) **صحيح البخاري**، سبق تخريجه.

(١١٠) روى مسلم بسنده من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ». مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب: لا عدوى، حديث رقم ١٠٧(٢٢٢٢).

(١١١) ينظر: أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (رقم أبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، (د. ط)، كتاب الطب، باب الجذام، حديث رقم ٥٧٠٦، ج١٠، ص١٥٩.